مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أَثر رواية ما بعد الحداثة في تشكيل وعي القارئ ... روايةُ (خارج الحدود) إنموذجًا.

م. د. جعفر محمد صبَّار[1]

[1] المديرية العامة لتربية بابل - العراق
gaafar.alsarhan81@gmail.com

الملخص. الحمد للروايةِ مكانة مُهمة بين القراء؛ كونها تقول مالا يقولهُ التاريخ, الشيءُ الذي جعلها خطابًا ثقافيًّا ينطقُ برؤى مُعينة لثقافةٍ أَو مجموعة مُعينة تعكس رؤيتها للعالم, بذا فإنَّها تسهم في تشكيل الوعي والمعايير الاجتماعيَّة بصورة ما. هذا النوع من الروايات ينتمي لروايةِ ما بعد الحداثة؛ لما تحمله هذه الروايات من ثقافة بعد حداثيَّة بطابعِها التشريحي للواقع بحسبِ ستيفن هيث: فهي" ثقافةٌ قادرة على إنتاج الحكايات بغزارةِ الوهم"[ينظر: بروكر,1995. 365_367], مما يعطيها الأَهميَّة في الدرسِ النقدي. ومصطلح ما بعد الحداثة كما قال محمد سبيلا: "مصطلحٌ مطلي بالصابون"[سبيلا,2007, 61]؛ كونهُ مُنزلقًا قد يحرف فكر القارئ بعيدًا عن مساره, فروايةُ ما بعد الحداثة تحملُ جانبين: ايجابي: تظهر تاريخ المُهمشين وتُركِّز على المسكوت عنه, وسَلبي: يتمثل بالتشكيك غالبًا بالثوابت والتنكر لها, والخطر يكمن في إظهار المكبوتات ودورها بإعادة تشكيل الوعي بحجةِ انَّها حلول للواقعِ المعيش. يُركّز البحث على (الجانبِ السَلبي) مُتخذًا رواية (خارج الحدود) للكاتبة نور الهدى كناوي انموذجا؛ لما حملته من حمولات فكريَّة وما أَخرجته من تابوات. إشكاليَّة البحث: كيفيَّة إعادة تشكيل الوعي للقارئ وفق ما تطرحه الرواية, وأَبرز الآليَّات التي تسهم في تشكيله. أَمَّا هدفه: إظهار أَثر السرد في تشكِّل الوعي, وفق منهجيَّة (الوصف والتحليل). تكوَّن البحث من محورين: (النظري) بعنوان (الروايةُ كخطابٍ ثقافي), بثلاث فقرات: الأَولى: تكلمت عن الروايةِ وتأثيرها الثقافي, والثانية: دورُ الروايةِ في تشكّل الوعي, والثالثة: دورُ الرواية والقارئ في خلقِ المعنى. أَمَّا المحور (التطبيقي): بعنوان: (آليَّات تشكّل الوعي في

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

روايةِ خارج الحدود), تضمن ثلاث فقرات أيضًا: الأولى: تكلمت عن الشخصيَّةِ الروائيَّة ودورها في تشكل الوعي, والثانية: دورُ الحدث الروائي في التشكّل, والثالثة: دورُ النقد السلطوي في تشكل الوعي. لننتهي بالخاتمةِ والنتائج والهوامش والمصادر.

Abstract. The novel has an important position among readers; The fact that she does not say history, the thing that made it a cultural discourse utter visions of a culture or a specific group that reflects its vision of the world, thus it contributes to the formation of awareness and social standards in some way. This type of novel belongs to the postmodern novel; Because these novels carry a culture after its modernity with their anatomical character of reality, according to Stephen Heath: It is "a culture capable of producing stories with abundance of illusion", which gives it importance in the critical lesson. And the term postmodernism, as Muhammad Sabila said: "The term coated with soap"; Being a sloping may distort the reader's thought away from his path, postmodernism carries two aspects: positive: the history of the marginalized appears and focuses on the silence about it, and my negative: is often skeptical of the constants and disguise to them, and the danger in showing the pentities and their role in reshaping awareness on the pretext that they are solutions to reality. The research focuses on (the negative side), taking a novel (outside the border) by Nour Al -Huda as an example; Because I carried intellectual loads and the coffins it brought out. The problem of research: how to reshape awareness of the reader according to what the novel proposes, and the most prominent mechanisms that contribute to its formation. As for its goal: showing the effect of narration on the formation of consciousness, according to the methodology (description and analysis). The research consisted of two axes: (theoretical) entitled (the novel as a cultural discourse), with three paragraphs: the first: I talked about the novel and its cultural influence, and the second: the role of the novel in the formation of consciousness, and the third: the role of the novel and the reader in creating the meaning. As for the axis (applied): entitled: (Metals are consciousness in a novel outside the border), it also included three paragraphs: the first: I talked about the novelist character and its role in the formation of consciousness, and the second: the role of the narrative event in formation, and the third: the role of authoritarian criticism in the formation of consciousness. Let's finish the conclusion, results, margins and sources.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

1 .المحورُ الأَول: الروايةُ كخطابٍ ثقافي:

تمثل الروايةُ منجمًا للمعلومات بالنسبةِ لقارئ والدارس على حدٍّ سواء, فضلًا عن كونها جنسًا أدبيًّا يحملُ بداخلهِ مساحة جماليَّة واسعة من المُتعةِ والخيالِ, وهي من أكثر الأَجناس الأَدبيَّة تمثيلًا للغةِ والثقافةِ من حيث "إمكاناتها في إعادة تشكيل المرجعيَّات الواقعيَّة والثقافيَّة وإدراجها في السياقات النصيَّة, ومن حيث امكاناتها في خلق عوالم مُتخيلة توهم المُتلقي بأَنَّها نظيرة العوالم الحقيقيَّة, ولكنها تقوم دائمًا بتمزيقِها وإعادة تركيبها بما يوافق حاجتها"[عبد الله ابراهيم,2013, 55], وهناك من عدَّها وثيقة ثانويَّة مهمة لقراءةِ للتاريخ؛ كونها تنطق بما لا يمكن النطق به من ثقافات وإيديولوجيَّات لثقافةٍ مُعينة أَو مجموعة ما. ونبين في هذا المحور من البحثِ أَهميَّة الرواية وتأثيرها في الثقافة والقارئ والنص وتشكّل الوعي.

أَولًا: الروايةُ وتأثيرها الثقافي:

مثَّلت الرواية خطابًا ثقافيًّا بحسبِ مفهوم النقد والدراسات الثقافيَّة. والخطابُ الثقافي: نسقٌ من الإشارات والمعاني والأَحداث تنتجها ثقافة ما, يعاد انتاجها عبر نفس تلك الإشارات واللغة والمعاني والأَحداث, كما ان الخطاب الثقافي هو" ليس وسيلة مُحايدة لتشكيل ونقل القيم والمعاني والمعارف التي توجد خارج حدوده, بل هو تأسيسي لها, بمعنى أَنَّهُ لا يستحسن ان يفهم الخطاب كانعكاسٍ للمعنى غير اللساني... فالخطاب يبني المعنى"[باركر, 2018, 192], وهنا تكمن أَهميَّة دراسة ذلك الخطاب الثقافي داخل الرواية, الخطابُ الذي يفترض التدقيق فيه وتعريته بالدرسِ والنقدِ والتحليل, لكشفِ نوايا ومُضمرات ذلك الخطاب القابع في صفحات الرواية.

وللروايةِ تأثير ثقافي, فضلًا عن دورِها في تشكيل الوعي للقارئ والمُتلقي وإعادة بناء معنى النص؛ إذ انَّها تعين القارئ في خلق معنى جديد عن طريقِ النص الروائي. وهي بامتياز مُغامرة المثقفين لما تمتلكه من قدرة تحليليَّة ونقديَّة للواقعِ, وطاقة انتاجيَّة لمعنى جديد. وتكون الرواية من أَخطر الأَسلحة على منظومةِ الوعي عندما تكون مُحمَّلة بمُتغيرات ثقافيَّة تخالف منظومة الوعي الجمعي, تلك المتغيرات الثقافيَّة التي تطرح في داخل النص الروائي كحل لمشكلة ما لا تساعد القارئ على "تحمّل هذا الواقع فحسب، بل تزيده تصميمًا على جعله أَكثر إنسانيَّة وأَكثر جدارة بالجنسِ البشري"[ارنست فيشر: 56], كما تقوم هذه المُتغيرات الثقافيَّة بدفع القارئ عن طريق فعاليّة القراءة إلى إعادة التفكير بآليّات تشكل وعي جديد، بالقدر الذي تثير لديه ما يطلق عليه "برتولد بريخت": "رعشة الفهم"[ينظر: الصالح,1999, 6]، وهي فهمُ الواقع حوله من جهة، والرغبة في تغييره من جهة ثانية.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ولما ركزت رواية ما بعد الحداثة على الأَصوات المُهمشة والمقصيَّة والمحظور والمسكوت عنه, بذلك تكون قد حملت برسائلٍ وحمولات ثقافيَّة للقارئ والمُتلقي, "فهي تتخذ من الواقعي في التخيلي نصًا للكتابةِ؛ كون الرسالة لا تغادر منطقة الواقع, والروايةُ هي عملٌ تخييلي بالدرجةِ الأَساس مع عدم إغفال ما هو واقعي في الحياة"[هياس,2012, 190], فالتدبر في الحمولات الثقافيَّة لروايةِ ما بعد الحداثة المُغايرة لما هو سائد في ثقافةِ الواقع من نقدٍ لسرديات الحداثة الكبرى وغيرها مهمٌ جدًا لتشخيص النتائج المُرتقبة من هذا التأثير الثقافي القابع بين سطور الرواية, وإن تناول الرواية "نقديًّا بوصفِها بنية ثقافيَّة لا تأبه بالحدودِ لا يتأتى الا من خلال انتقاد القيم السائدة ونسف الايديولوجيَّات والسرديَّات الكبرى التي استغرقت زمنًا طويلًا من حياةِ الإنسان"[البستاني,2017, 2], فمن هذه الحمولات الثقافيَّة داخل الرواية وما تحمله من مُتغيرات ثقافيَّة مُغايرة لما هو سائد في الواقع, تظهر أَهميَّة ذلك التأثير الثقافي؛ للدورِ الذي تلعبه تلك الحمولات الثقافية وتأثيرها على الثقافةِ السائدة.

ثانيًا: الروايةُ وتشكيل الوعي:

إنَّ الدورَ الثقافي الذي تلعبهُ رواية ما بعد الحداثة دورٌ مهم جدًا, خاصة ما تقوم به من نقدٍ للثقافةِ السائدة ونقدها لسرديات الحداثة الكبرى بكلِّ معانيها, وما هذا إلا عمليَّة هدم وتشكل لمنظومة وعي جديد لدى القارئ والمُتلقي, وهذا مما ليس بخافٍ على الناقدِ الحصيف والقارئ المُتدبر لغايات فكر ما بعد الحداثة.

وقد ذهب إيهاب حسن إلى أَن الفكر ما بعد الحداثي يمثل نوعًا من الانفجار الذي سوف يؤدي بالحداثةِ وعقلانيتها إلى التشتت إلى وحدات وقطع مُتناثرة, بل هو تفجير للأنساق على نحو خارق[المتدين,1999, 31]؛ لأَن النص الروائي ما بعد الحداثي يرسخ مُعطيات فوضى الوجود ويحاول تطبيقها على انساقه اللغويَّة, كما يسعى لتعرية النظم العقديَّة المستندة إلى أَفكار ومقولات محددة في الواقع المعيش[ينظر:وليامز,2010, 39], فتقوم نصوص ما بعد الحداثة على الانفتاح وكسر الحدود المحيطة بالمجتمعِ, وتتجاوز المُتعارف عليه والسائد من قبل الناس من قيمٍ وعادات وتقاليد وأَخلاق, فهي نصوصٌ تقوم على لا نهائيَّة الدال ولا محدوديَّة المدلول, فتتعدد تبعًا لذلك الحقائق باختلاف القراءة والإساءة إليها بحسبِ منظور التفكيك.

وان حقيقة نصوص ما بعد الحداثة تكمن في "الاحتمالات اللامتناهية لقراءةِ الأَعمال الفنية, التي ظنت الحداثة انَّها في حصنٍ منيع منها"[شيحه,1999, 290], فعليه تكون نصوص ما بعد الحداثة

خطابًا يعمل بالضدِّ من خطابِ الحداثة, كذلك فان رواية ما بعد الحداثة ماهي إلا خطاب يعمل على قمع خطاب آخر, ويدعو إلى تحرير المجتمع منه بحسبِ منظوره الخاص.

ووفق هذا المنظور تكون رواية ما بعد الحداثة مشروع خلخلة المألوف والسائد, والخلخلة ذاتها هي المقصودة لتغيير الفكر وتعديله بعد نقضه وتقويضه, إذ ان (مبدأ التقويض) التفكيكي هو المبدأ المهيمن على الفكرِ ما بعد الحداثة بصورةٍ عامة, الفكرُ الذي لا يرى ان هناك ثابت يحكم المتحول, كما لا وجود لثقافة نخبويَّة عالية واخرى دنيويَّة جماهيريَّة, بهذا الغى فكر ما بعد الحداثة كلَّ ثابتٍ, وإذا احتفظت الحداثة بعمقِ المعنى فان ما بعد الحداثة نادت بعدم ثبات المعنى وعدم جوهريته, ولا شيء تحت السطح سوى السطح نفسه [ينظر: البازعي والرويلي,2007, 226], لهذا تبنت ما بعد الحداثة السطحي واليومي والمبتذل, فضلًا عن محاربتها لثقافةِ النخبة السلطويَّة.

فمن كل ما تقدَّم نعرف ان روايةَ ما بعد الحداثة تقوّض ما هو سائد وتعمل على هدم الفكر بالنقدِ والتفكيك وتقانات مُختلفة كالسخريَّة والتهكم بطرحٍ جديد يعمل على أدلجة فكر القارئ بفكرٍ مُخالف ومنظور جديد. بهذا تعمل رواية ما بعد الحداثة على تشكيل فكر ووعي جديد للقارئ والمُتلقي على مرورِ الزمن, عن طريق طرحها المُغاير للسائد سواء جاء ذلك الطرح بصورة عرض للمشكلة أَو حل لها. لذا يتوجب على القارئ توخي الحيطة والحذر من كلِّ ما يسرد في رواية ما بعد الحداثة بصورة النقد أَو الانتقاد لما هو سائد في الواقع, وإمعان النظر فيه وفحصه لمعرفة ما هو ضار فعلًا ومدعاة للتغيير, وما هو نقد صحيح للسَلبيَّات الموجودة بالواقعِ, فليس كل ما يعرف يقال ولا كل ما يكتب يُذاع.

ثالثًا: الروايةُ والقارئ وخلق المعنى.

يتضحُ مما تقدم الأَهميَّة الكبرى لروايةِ ما بعد الحداثة في خلقِ المعنى الجديد في ذهنِ القارئ والمُتلقي, بل وتعدد المعاني لإمكانيتها على تقديم قراءات مُتعددة من حقِّ القارئ والمُتلقي القيام بها؛ لأَنَّ النص الروائي ما بعد الحداثي كما أَكد (وولفغانج آيزر) ليس كينونة قابلة للتعريف والكشف مرَّة واحدة لكنه حدوث دينامي, هو حركةٌ تبادليَّة بين القراءةِ وكينونة القراءة؛ لإنتاج قراءة جديدة للنصِ وتقديم معنى جديد للفكر[ينظر:البستاني,2017, 14]؛ لأَن الفكر ما بعد الحداثي صار ينظر إلى عمليَّة التلقي على أَنَّها حركة ابداعيَّة تأويليَّة لا تحدها حدود ولا تسورها اسيجة, لا من قبل النص, ولا المؤلف ولا حتى من قبل السياقات المُختلفة؛ على أَنَّ النص لما يخرج من مُرسِله يصبح ملكًا لمستقبلِه.

والنص الروائي ما بعد الحداثي نص ينتهي بلا حدود له ولا مركز, غارق تمامًا في عالمِ الصيرورة مُتطهرًا من الميتافيزيقيا, بل انَّهُ يشبه دوامة الصيرورة, فالنصُ مُتعدد المعاني بشكلٍ مُطلق؛ لأَنه يستحيل

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الاتفاق على معنى معه, لذا فان هناك معاني بعدد القراءات المُمكنة, فهو مجال عشوائي للعبِ الدوال ورقصها والشفرات المُتداخلة, فالمعاني التي يتوصل إليها القراء لا يربطها مركز واحد وليست مُستقرة, إلى أَن يتعدد المعنى فتصبح في حالةٍ من السيولةِ واختفاءِ الحقيقة وتعدد المعاني[ينظر :المسيري,2003, 106], ونقصد بالحقيقةِ هنا ذلك النسق السائد, مما يجعل الرؤية ضبابيَّة عند القارئ بخلقِ معنى جديد عن طريق القراءة, وهكذا يأتي قارئ آخر تمكنه زاوية نظره للموضوع وما لديه من ثقافة وأدلجة خاصة أَو ربَّما وفق ما يتفق مع ما يكمن في نفسهِ وما يحمله من نقدٍ مُضمرٍ للظاهرةِ نفسها المُنتقدة والمتكلم عنها في الروايةِ, بذا يصفق اللاوعي عند القارئ لما يسرد من معنى جديد مكونًا بذلك خلقًا جديدًا للمعنى مُدعمًا بالقناعات النفسيَّة والأَدلة العقليَّة والفكريَّة التي تقدمها الرواية للقارئ وتطرحها كمادة خام في خلقِ معنى جديد.

وقد انفتح النص الروائي ما بعد الحداثي على الرؤى الكبرى لما بعد الحداثة المُتمثلة بجملةٍ من القضايا, منها تدمير القيم الموروثة والمظاهر التقليديَّة, وتدمير المعنى للبقاءِ في دوامةِ لعب الدوال وتغيير الحقيقة, واستخدام تقانات وآليَّات عدَّة منها (الجنس) كأداةٍ فاعلة في التأثير والتوجيه, فتحول كل شيءٍ مع مرحلة ما بعد الحداثة إلى لغةٍ كـ(الأَمراضِ العقليَّة والجسديَّة والظواهر الحياتية المُختلفة واللاوعي والجنس والآلة والحرب والصناعات الفكريَّة [ينظر :سعد الله: 90], واللغةِ الأثر الابرز في بناءِ المعنى والفكر؛ لأَن اللغة أَداة التفكير الأَولى, وكل تفكيك لغوي يُفرّغُ مساحةَ الفكرِ للغةٍ اخرى تحل محله, فلما تنتقد الروايةُ ظاهرةً ما, تعمل معاول الهدم والتقويض الفكري على نسفِها ومن ثم تنصت لما يحلّ محلها من فكرٍ مُقترح ومعنى جديد, هنا تكمن خطورة هذا الأَمر الذي سنتكلم عليه بالتطبيقِ في المحورِ الثاني.

2 .المحورُ الثاني: آليَّاتُ تشكّل الوعي في روايةِ خارج الحدود.

إنَّ الروايةَ من أَسرع الأَشكال الأَدبيَّة تأثرًا وتأثيرًا بحركةِ المُجتمع والواقع والفكر السائد, والروايةُ عامة ورواية ما بعد الحداثة خاصة ليست مفهومًا زمنيًّا, بل هي اسلوبٌ ورؤيةٌ للحياةِ والعالم, رؤيةٌ تتكون داخل جماعة أَو طبقة مُعينة في احتكاكها بالواقع, فلما عمد فكر الحداثة في العقليةِ الغربيَّة إلى إقصاء الكنيسة والمُتعالي والمُقدس من المركز, وإحلال الإنسان مكانه كان من البديهي ان يتجاوز ويتمرد العقل الإنساني على المُتعالي باستمرار؛ لأَن طريق اقصاء العقل لنفسهِ والاجتراء على كلّ مُنجزاته التي كان يعدها في وقتٍ من الأَوقات مُسلمات مُتعالية, وما هو الا اجتراء على منظومتهِ الفكريَّة المُستقبليَّة, فهذا الكسر للتابوات يُمثل هدمًا للمُتعاليات بصورةٍ مُستمرة حتى أَصبح عادة للعقلِ

الإنساني يقلبها متى يشاء حين لم يبلغ الغايات المرجوة من ذلك الفكر؛ دليل ذلك قيام فكر ما بعد الحداثة _فيما بعد, بنقض كلَّ مُسلمات الحداثة من محوريَّة الإنسان, ومركزية العقل, وهدم السرديَّات الكبرى, وكل العادات والتقاليد والثوابت وفق آليَّات فكر جديد وغايات جديدة, وكما نعلم ان لكلِّ فكرٍ جديد آلياته وأدواته التي تعمل على تشكّل ذلك الفكر وتسيده.

وإنَّ آليَّات فكر ما بعد الحداثة العاملة على تشكل الوعي الجديد والقائمة على نقدِ التحولات السرديَّة الكبرى للحداثةِ كثيرة جدًا منها: التجريب والابتكار والحرية والاختلاف والخلخلة واللعب, ومنها ما يدعو إلى العصف بالثوابتِ ويبحث في إشكاليَّةِ الهوية والانفتاح والتدمير والهذيان والمُغايرة وتفجير اللغة والسخرية وغيرها من المُصطلحات التي اجترحتها ما بعد الحداثة ودعت إلى تطبيقِها على النصِ الجديد[ينظر :العلام,1999, 19]. وكل آليَّةٍ من هذه الآليَّات تظهر في الروايةِ مُحملة برؤية نقدية أَو مُنتقدة لظاهرةٍ ما أَو فكرة أَو شخصيَّة أَو حدث, هو نقدٌ يضمرُ بباطنهِ حثًّا على فكرةٍ جديدة تُطرح أَمَّا بآليَّة السخرية أَو كحلٍّ لمشكلةِ ما أَو ما شاكل ذلك.

وان المُخرجات التابويَّة للاوعي على سطحِ النص الروائي هي ليست بالضرورةِ سمات ايجابيَّة؛ إذ ليس كل نماء في ظاهرةٍ ما يكون ايجابيًّا ويسير بشكلٍ مُتزن من دون خلل أَو خطر فكري, فكل فكر يُطرح في النصِ يُشكِّل انزياحًا فِكريًّا عمَّا هو سائد يستثير بدورهِ مجسَّات ومُستشعرات اللاوعي, ليخرج ما كمِن في اللاوعي إلى السطحِ ليمثل على صفيحةِ الفكر مُشكلًا وعيًا جديدًا للقارئ والمُتلقي.

فالقارئ حال قراءة مُضمرات النص الروائي وخطابه يجد نفسه أَمام فكر يدغدغ ما كمن بداخلِه لما هو مسكوت عنه وقابع في أَعماق النفس, حينها يجد نفسه مشدودًا ومُنجذبًا نحو هذه الأَفكار المطروحة في النص, الأَفكارُ التي تقوم بدورِها في تشكيل الوعي الجديد؛ كونها اخرجت للسطحِ ورأت النور للقراءةِ والمقبوليَّة المجتمعيَّة, وباتت مُباحة حتى يمكن تمثلها على أَرض الواقع.

نتناول في هذا المحور الكشف عن مُضمرات اللاوعي المسؤولة عن تشكِّل الوعي الجديد, من المُضمرات المُتضمنة في النصوصِ الروائيَّة عبر آليَّات سرد ما بعد الحداثة في داخل الرواية, ونسلط الضوء هنا على ثلاث آليَّات مُهمة مثلت ظاهرة بارزة في روايةِ (خارج الحدود), هي نقدُ الشخصيَّةِ الروائيَّة, والأَحداث الروائيَّة, والنقد السلطوي.

2.1. أَولًا: الشخصيَّة الروائيَّة وتشكل الوعي:

لم تكن الشخصيَّة الروائيَّة مُجرد كائن من ورق, فهي من منظورٍ علمي تخصصي "موضوعٌ تتقاسمه وتشترك في دراستهِ علومٌ مُختلفة أَهمها: علمُ النفسِ وعلمُ الاجتماعِ والطبُ النفسي وغيرها من العلومِ

الإنسانيَّة والطبيعيَّة"[حسن,2010, 8], وما الشخصيَّة الروائيَّة إلا "نتاجٌ لجملةٍ من الظروفِ الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والثقافيَّة والفكريَّة, تلك الظروف التي تعمد إلى تشكيلها أو قولبتها بحسبِ تعبير (فروم) بطريقةٍ مُعينة"[حسن,2010, 24], وإنَّ خصالَ الشخصيَّةِ لا يمكن ان تُشاهد ولا ان توجد ولا تلاحظ بشكلٍ مُباشر؛ لأنَّ خصال الشخصيَّة مفاهيم مُجردة يتعين استنتاجها من الخطاب, وان مُجرد وجود خصال الشخصيَّة لدى الأفراد كان موضوعًا للجدل[الخالق,2000, 43], لأنَّ خصال الشخصيَّة ذاتها تخضع للظروفِ وللبيئةِ وللزمانِ والمكانِ واختلافهم, لذلك يصعب تحديدها في كثير من الأحيان, فضلًا عن الحاجةِ الكبيرة للدقةِ والتمعن والفحص لما تحمله تلك الشخصيَّات الروائيَّة من مُضمرات فكريَّة للقارئ بقصد أو من دون قصد.

ولمّا قيل إنَّ قوةَ الضغطِ الموجهة إلى أي جسمٍ, تولّد في المقابل قوة مُضادة لها تساويها في القوة وتعاكسها في الاتجاه, هي مقولة ذات مرجعيَّة علميَّة, وإذا ما افدنا من هذه المقولة وأنزلناها ساحة الاشتغال النقدي عن طريق نظريَّة تحليليَّة, نقول: إنَّ الضغطَ المُسلط على الشخصيَّة الواقعيَّة والمُتمثلة بالروائي وما يرسمه من شخصيَّات روائيَّة بكلِّ حمولاتها الفكريَّة ما هو الا ردة فعل تولد قوة مساوية ومُعاكسة باتجاهِ موجه للقارئ والمُتلقي ليتشكل بذلك فكر جديد لما تعكسه تلك الشخصيَّات الروائيَّة, وسنترك برهنة قولنا هذا إلى ما ورد من الأمثلة في روايةِ (خارج الحدود).

فمن عنوان الرواية الرمزي _خارج الحدود_ تظهر لنا تلك التجليَّات اللاواعية عند الكاتبةِ, فنجد تدخلات اللاوعي عن طريق الكتابة في خارج حدود المألوف وخارج حدود الكتابة السائدة أو ما يرتضيه الوعي الظاهر, وهو أمر محظور بلا شك, فأمر الهجرة عن الأهل والأوطان يكون لأسباب قسريَّة كبرى لا لأتفه الأسباب التي سردتها شخصيَّات الرواية. وهذا الطرح الروائي هو ما يؤسس بصورة أو بأخرى لمنظومة فكريَّة جديدة للتمردِ والهجرةِ والانتحارِ وغيرها؛ لأي من هذه الأسباب التي طرحتها الرواية عن طريق شخصياتها وما روته من أحداث.

إذ نجد الرواية تروي ذلك المحظور للشخصيَّات السطحيَّة والمؤدلجة فكريًا, الشخصيَّات التي تطبق ما يشاع في المجتمع والواقع من دون التفكر به, بالتالي تشكِّل هذه الشخصيَّات خطرًا كبيرًا على الشخصيَّات الواعية وتمثّل اقصاء مُباشر لها, لقول شخصيَّة (فرانزولا): (الذين حولوا حياتنا لجحيم, ذنبهم انهم محدودو التفكير والبصيرة, نسخوا في عقولِهم كلَّ ما تعلموه من عادات سيئة من المجتمع واخذوا يطبقونها بكلِّ حذافيرها من دون تفكير)[كناوي,2024, 112], فمثل هذه الشخصيَّات السطحية تعطينا الرواية انطباعًا عنها بأنَّها شخصيَّات خطرة يجب الابتعاد عنها بوصفِها عدوًا للآخر الواعي,

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

والحال ليس كذلك فكما قيل: إنَّ الفكرَ لا يقرعُ الا بالفكرِ, لا بالهروبِ ولا بالهجرةِ كما هو الحلُّ الذي اجترحته شخصيَّات الرواية, والدليل ما اوضحته الرواية في نهايتها على لسان شخصيَّة (مي) بقولِها: (نحنُ نكذبُ على أَنفسِنا يا فرانزا هناك أَشياء لا يمكن نسيانها حتى ان تناسيناها تبقى داخلنا كوحشٍ مسعور يستيقظ متى شاء لينهش لحمنا)[كناوي,2024, 119], فقولها دليل على أَن بالرغم من هروب شخصيَّات الروايةِ (خارج الحدود) إلا انَّهم كانوا يتذكرون مُعاناتهم في كلِّ حين, فالإنسانَ لا يستطيع الهروب من مُعاناته, بل عليه مواجهتها والاسهام في وضع الحلول لها.

كما تروي (فرانزولا) لصديقها بالمهجر _تيم_ أَحد أَسباب هروبها وهجرتها عن الوطن؛ بسبب أَخيها الذي أَراد منها: (تغيير دينها قائلة: "أَراد أَخي ان اغيّر ديني وان اتزوج الشيخ, كان اتبعه أَو يعتبرهُ رئيسًا لهُ أَو مُرشدهُ, لقد ضربني أَمام أَمي وأَبي ولم يحرك أَحد منهما ساكنًا, لم يدافع عني أَحد)[كناوي,2024, 98], فما ترويه الشخصيَّة الرواية وما تمثله الاخ من دور ما هو إلا إقصاء فكري بلا شك, لكنه يوحي بفكر جديد على شخصية (فرانزولا) وما شابهها ان تتمثله في الواقع لأي قضية مماثلة لما تروي؛ بوصف ان فكرة الهجرة والهروب من الأَهل هي الحل لجميع المشاكل وهو على العكس من هذا, فتمثل فكرة الهروب في لواقع ما هي الا معالجة الخطأ بخطء أَكبر.

كذلك ما ترويه (فرانزولا) من نصٍ اقصائي من معلمتها؛ لا لشيء الا بسبب ديانتها المخالفة, لتقول لها المعلمة (بلقيس): (من لا يدخل الاسلام كافر وسيحرق بالنارِ..., فانت معفيَّة من الدرس)[كناوي,2024, 7], كذلك تروي (فرانزولا) نظرة زملائها لها بقولِها: (فلمجرد انني مسيحيَّة وغير مُحجبة فقد ظنَّ جميع زملائي بأَنَّي مُلك شائع)[كناوي,2024, 10], فالنص يظهر ذلك الخطاب الإقصائي للأنثى عامة, الخطاب الذي تتمثله أَغلب المُؤسسات الذكوريَّة تحت أَي ذريعةٍ كانت سواء دينيَّة أَم سياسيَّة أَم عشائريَّة وما شاكل, فتلك النظرة الدونيَّة هي نظرةٌ ذكوريَّة لا دينيَّة, فالأديان _وأَخص الدين الاسلامي منها_ قام بتكريم المرأة بما لم يكرمها أَحد من قبل, لكن الشخصيَّة تعود لتخلط بقولِها: (المرأةُ في أَيّ دينٍ عورة وأَكبر مصدر للإغراء, وهي التي انزلت آدم من الجنَّةِ, وعليها ان تتحمل هذه الخطيئة وتبقى مُحتشمة)[كناوي,2024, 116], وهذا الكلام ليس بقول الدين ولا النص القرآني وانما هو مثيولوجية دينية لا صحَّة لها بل الحق ما قلناه من أَنَّها نظرة ذكوريَّة سلطويَّة, لا تحتم على المرأة الهروب والهجرة وهو ما يوحي إليه النص الروائي بالمضمر, بقدر ما يتطلب من المرأة اثبات وجودها عن طريق اثبات ذاتها بنجاحاتها ومنافستها للعنصر الذكوري لتتحيز مكان وجودها المقصي لا ان تحقق له فرحة الانتصار بالإقصاء والهروب الفاشل.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

مشكلتنا هي النظرةُ الذكوريَّة " المحرضة على عبوديّةِ المرأة وقهرها وحصر وظيفتها في المُتعةِ الجنسيَّة لربِّ الأسرةِ وحراسة البيت بأمانةٍ في غيبتهِ من دون اتخاذ أي مُبادرة ولو كانت في إطار ما تقرّه لها الرسالة"[ينظر :صبار ,1999, 38], وهي المشكلة ذاتها التي ترويها شخصيَّة (تيم) قائلًا: (في أَحد حفلات أَبي الصاخبة حين يمارسُ دور السيد صاحب السوط [...], يبدأ من أَمي ومن يحاول الدفاع عنها يأخذ النصيب الأَكبر)[كناوي,2024, 18], كل هذه الأَفعال الذكوريَّة التعسفيَّة تجاه المرأة تكّون عقدة للإنسان السوي الذي يشعر بالجنسِ الآخر, إذ يقول (تيم) لـ(فرانزولا): (أَنا اشعر كثيرًا بمشاكلِ النساء, كيف انهن مُنذُ لحظة الولادة وحتى قبلها يتم كرههن)[كناوي,2024, 59], وهو شعور جميل ان يشعر لإنسان بالآخر, والأَجمل أَن يجد ويقدِّم حلولًا منطقيَّة له تجنبه الخطأ أَو مُعالجة المشكلة بمشكلةٍ أَكبر, وهذا ما ترويه الشخصيَّات من حلول تمثل خطأ يضاف لخطأ سابق, فمُعالجة هذه النظرة الذكوريَّة هو ثبوت الأَنثى وتحقيق ذاتها ومقارعتها لهذه النظرة لا الهروب والهجرة؛ لأَنَّها ليست الحل وإنَّما ستجد هذه المشكلة أَمامها اينما ذهبت فهي نظرة عالميَّة تنظر لدونيَّة المرأة وتسليعها.

كما تروي شخصيَّة (فرانزولا) مشكلة اخرى, هي مشكلة محاربة الحريَّة الشخصيَّة وكل من يخرج عن نسق القطيع السائد (النسق العرفي), بقولِها: (رأيتُ في أَحد المرات شابًا مقتولًا بحجارةٍ (بلوكة) قيل إنَّهُ (إيمو) يعبد الشيطان, لكن المسكين كان مُكتئبًا وعبَّر عن ذلك بملابسه)[كناوي,2024, 11], وتروي شخصيَّة (تيم) تلك النظرة العشائريَّة التسلطيَّة على الضعفاءِ بقوله: (القويُّ يسيطرُ على الضعيفِ, الكلُّ يخضعُ لأوامر رئيس العشيرة, ان كان ينتمي لعشيرة ما, إذا لم يفعل يخضع للتقاليد ولعادات المجتمع المحيط)[كناوي,2024, 30], وغيرها من المشكلات المجتمعيَّة التي روتها شخصيات رواية (خارج الحدود), والتي ترجمت بأكثر مما روي عن طريق تلك التساؤلات ما بين شخصيتي (فرانزولا) و(تيم), إذ تقول له: (لماذا يؤذي الناس بعضهم بعضًا)[كناوي,2024, 29], فيجيبها (تيم) جوابًا تهكميًّا يحملُ بداخلهِ نصًا مُضادًا قائلًا: (للمتعةِ... حتى يشغلوا اوقاتهم يحتاجون للمتعةِ, بعضهم يتمتع حين يشوه صورة شخص ما, والاخر يتمتع حين يذل مُوظفًا اقل منهُ, والاخر يتمتع بالقتلِ أَو جبار غيره على شيءٍ لا يريده)[كناوي,2024, 29], فهذه المشكلات التي تطرحها الرواية على لسان شخصيَّاتها, هي مشكلات واقعيَّة موجودة_ بلا شك, لكننا نركز هنا على فحص وتمحيص الحلول التي تطرحها الشخصيَّات عن طريق الرواية بوصفِها حلولًا ناجحة لمواجهةِ هذه المشكلات, والحلُ الذي طرح هنا هو الهروب من الأَهل والوطن والهجرة والتغرب بعيدًا عن هذه المشاكل, علمًا ان الرواية تعود في النهاية لتعترف على لسانِ شخصياتها بأَن لا يمكن الهروب من مشاكلنا, وإنَّما علينا البقاء لمواجهتها والصمود

أمامها بالتغيير والنجاح, فـ(الهروب) فكرٌ يُطرح على صفحاتِ الرواية تُصفّق لهُ أغلب أذهان القُراء بالوقتِ الحاضر؛ كونه الحل الأرجح كما تطرحهُ شخصيَّات الرواية من دون التدبر والتمعن بالأمر وهو ليس كذلك, فعلينا ان نضع خطوطًا حمراء تحت ما يكتب ويروى من حلول للمشكلات التي تطرح عن طريقِ الرواية وشخصياتها؛ لأنَّها تمثل طرحًا وتأسيسيًّا لفكرٍ جديد يخرج على سطحِ الواقع بعدما كان محظورًا داخل اللاوعي.

2.2. ثانيًا: الحدثُ الروائي وتشكل الوعي:

إنَّ صناعةَ الحدث الروائي غالبًا ما تكون مُحكمة ذات مدلول يريدُ الكاتبُ إيصاله إلى القارئ والمُتلقي, فالأحداث تكون مقصودة في الروايةِ لتروي أحداثًا مُتشابهة وقعت على أرضِ الواقع, هذه الأحداث تروي بدورِها مشكلات واقعيَّة وترسمُ حلولًا لها, وغالبًا ما ننبه هنا على الحلولِ التي تشكل خطرًا في تشكيل الوعي المستقبلي للقارئ ونضعها تحت مجهر النقد؛ لقياس مدى الخطورة المُترتبة إذما طُبقت هذه الحلول للمُشكلات على أرضِ الواقع؛ لأن سرد المشكلة والحل عن طريقِ الحدث الروائي المُتخيل في أعماقِ الوعي يؤثر بالقارئ ومن ثم يُعيد تشكل وعي جديد بالمشكلةِ التي أعيد تصويرها عن طريقِ الرواية وتمثّل الحل الجديد لها ما لو مَثلت تلك المشكلة أمامنا في الواقع.

مثل هذه المشكلات طرحت عن طريقِ أحداث رواية (خارج الحدود), الروايةُ التي أخرجت الكثير من مكبوتات اللاوعي كحال سائر روايات ما بعد الحداثة, وتمثلت حلولًا لمشكلات طرحتها عن طريقِ تلك الأحداث السرديَّة, هذه الأحداث بإمكانها إعادة تشكل وعي جديد بما يُطرح من مشكلةٍ وحلٍّ يُناظر ما في الواقع المعيش.

إذ نقرأ في الرواية أحداثًا لـ(انتحار), الحدثُ الأبرز الذي نعيشهُ اليوم والظاهرة السلبيَّة التي باتت تتفاقم في المجتمع لأتفه الأسباب حتى أصبح من الصعبِ مُعالجتها والسيطرة عليها, إذ يروي (تيم) لصديقته (فرانزولا) مئة رسالة انتحار للمنتحرين, وهي رسائلٌ تُعرب عن انتحار أصحابها لما عانوه من أعرافٍ واضطهاد ومُضايقات لم يستطيعوا تجاوزها أو الصمود بوجهِها, فالدراساتُ تؤكد "إنَّ كبت الرغبات, على نحو ما, يؤدي إلى تشويه الشخصيَّة"[طنوس,2011, 410] وربَّما انتحارها, فنقرأ رسالة (فاطمة زياد) المُنتحرة شنقًا, ورسالة (محمد جبار) المُنتحر غرقًا؛ بسبب ضنك العيش, وقصَّة الزوجة (منى أمين) التي قطعت وريدها؛ بسبب اجبارها على الزواج بابن عمها[كناوي,2024, 49 وما بعدها], كل هذه ضغوط لمشكلات نعيشها بالفعل, لكن المشكلة فيما اظهرته الرواية من ثيمة (الانتحار) بوصفِها

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

حلّ لهذه المشاكل, وان كانت هذه المشكلة قائمة كحلٍ في الواقعِ لكنه حل محظور ما كان ينبغي التصريح به.

كما اظهرت الروايةُ حدثًا روائيًا أَوصل (فاطمة زياد) إلى هاوية الانتحار, هذا الحدثُ ما هو إلا دليل فاضح على وما تقومُ به الاسرة _كأصغر بنية مجتمعيَّة_ من ظلمٍ واستبداد وتعنيف تجاه البنت لا لشيء فقط إلا لأَنَّها انثى يجب ان تُقيَّد وتُكبَّل وتُحرم من أَبسط حقوقها كإنسان.[ينظر: كناوي, 52 وما بعدها], إذ تنهي رسالة انتحارها قائلة: (الجميع.. الجميع, من يعرفني يعرف مُعاناتي, جميعهم السبب في انتحاري, نعم اريدكم ان تشعروا بالذنبِ كما شعرت بذلك لسنوات)[كناوي,2024, 53], نعم, إن المشكلة موجودة والتمثل الروائي لها دقيق لكن الحل المطروح ليس موفَّقًا, فطرح هكذا مُعالجات للمشكلةِ واخراجها للعلن على سطحِ الورق لترى النور حتى يقرأها العقل ويصفق لخروجِها ومن ثُم يعيد تشكلها بوعي جديد, ويعيد مسرحتها على أَرضِ الواقع, حينها تنتشر مثل هذه الحلول _الانتحار_ لأتفه المشكلات.

الحل هو وان طرحت المشكلات في الروايةِ فلا بأس بالأمر, لكن طرح هكذا حلول خاطئة يجعل الوعي يتشكل تلقائيًا على أَن لا حل لهذه المشكلة إلا ما طُرح والعكس هو الصحيح, فهناك حلول كثيرة ممكن ان تطرح كحلول علاجيَّة لهذه المشاكل.

كذلك ما روته (مي) لصديقتها (فرانزولا) عن قضيةِ اغتصابها من قبل صديق أَبيها؛ بسبب ذلك الإهمال الأسري, فتقول: (شعرتُ به ينقض عليَّة ويضع قطعة قماش على وجهي ثم لم اعلم ما حصل سوى اني استيقظت في منزل الرجل وأَلم شديد في الجزءِ السفلي من جسدي)[كناوي,2024, 120], فالاغتصاب من الجرائم الاجتماعيَّة الحاصلة في الواقع لأَسباب عدَّة, أَولها الإهمال الاسري وعدم المُتابعة وحسن التربية الصحيحة, لكن هذه المشكلة لا يكون حلها الهرب من الاسرة والدعاء على الوالدين بالانتقام؛ كونهم سبب الجريمة, وترك الأَهل والبلد ومعالجة الجريمة بمشكلةٍ أَكبر حين طلبت (مي) الطلاق من الرجل الذي حاول تصليح جرمه معها فتقول: (أَخذت مال المؤخر وهربت به خارج البلد قطعت الغابات والبحار لأَصل كندا)[كناوي,2024, 126], فالوعي يتشكل بحسبِ ما يراهُ ويسمعهُ ويقرأهُ من حلول لمشكلات قائمة؛ بوصفها أَمرًا مُباحًا والا ما كان ليصرح بقوله.

هذا الأَمر ما جعل ظواهر الانتحار والهجرة وما شاكل من حلول سلبيَّة تشيع بالمجتمعات من دون دراية أَو قصد بما يطرح من ترويج غير مُباشر لهذه الأَفكار والحلول الخطرة, سواء كان الترويج لهذه الأَفكار يتم عن طريقِ القنوات المرئيَّة أَو السمعيَّة أَو المقروءة, فهو ترويج يعيد هيكلة وتشكيل الوعي

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بفكرٍ جديد, فما يُقرأ يستسيغهُ العقل حتى يكون بالإمكان إعادة تمثيله على ارض الواقع بمجرد ما تصادفه مشكلة مماثلة لما قرأه.

هنا يتوجب التركيز على ما يروى من أَحداثٍ روائيَّة قد تكون أَحداثًا محرضة أَو أَحداثًا من صنعِ الخيال, فليس كل ما يطرح بالأَعمالِ الأَدبيَّة يمكن اسقاطه وتمثله في الواقع, وإن صح تمثل المشكلات لكن الخطر يقع في الحلول التي تطرحها الرواية وكاتبها, فهي أَولًا واخرًا رؤية الكاتب, وهي وعي ذاتي يجب تسويره والحذر منه كحلٍ لمشكلةٍ ما, إذ ليس بالضرورةِ اعتماده كحل ناجع حتى يكون ظاهرة مستشريه لمشكلاتنا, كظاهرةِ الهجرة والانتحار على سبيل المثال لا الحصر.

2.3. ثالثًا: النقد السلطوي وتشكل الوعي:

نقصدُ بالنقدِ السلطوي هو نقدُ السلطات الثلاث الكبرى الرئيسة والحاكمة بالمجمعِ العربي والعراقي على وجه الخصوص, وهي السلطةُ السياسيَّة والدينيَّة والاجتماعيَّة, وهو ما شكَّل ظاهرة بارزة في عموم روايةِ (خارج الحدود) كنقدٍ لهذه السلطات؛ بوصفِها سلطات تعسفيَّة ومضطهِدة وضاغطة على عموم أَفراد المجتمع, وهو نقدٌ لا يخلو من مُؤشرات نقديَّة سواء ما طرحتهُ الرواية كنقدٍ سلطوي أَو ما قدمتهُ كحلٍ لذلك الاضطهاد السلطوي.

ومن منظورٍ مجهري فاحص بمجال نقد النقد ينبني حديثنا في هذه الفقرة عبر التركيز على سؤالين: الأَول: كيف طرحت الرواية نقدها السلطوي؟, والثاني: ما الحل الذي طرحته الرواية للظاهرةِ المُنتقدة؟, فالإجابة على هذين السؤالين تنمّي وعي القارئ وتجعل ذهنه مُنفتح حول ما يقرأ, ولا يأخذ بالتسليم في كلِّ ما يُقرأهُ أَو يُسمعُ به, هنا نجعل عمليَّة فلترة للوعي من الموادِ التي قد تعيد تشكّله بصورة خاطئة.

نبدأ تحليلنا بعرض بعض الأَمثلة التي وردت في روايةِ (خارج الحدود) حول نقد السلطة السياسيَّة, حين تحدثت (مي) مع صديقتها (فرانزولا) قائلة: (العوائلُ المسيحيَّة في العراق لها حق اللجوء صحيح؟, [تجيب فرانزولا:] نعم, فحصلت الكثير من الأَحداث الطائفيَّة)[كناوي, 116], والحال ان ظاهرة الطائفيَّة ظاهرة يمقتها الجميع, والروايةُ كانت مُوفقة في رصدِها, لكن ليس الحل لظاهرة الطائفيَّة _دائمًا_ هو الهروبُ من البلدِ والبحث عن أَرضٍ اخرى, بهذا يصبح العالم يحكمه قانون الغاب ويغيب الاستقرار في كلِّ انحاء العالم وارجاء المعمورة, ويصبح القوي يفترسُ الضعيفَ وهكذا, انَّما الحلُّ في الصمودِ ومُواجهة هذه الأَفكار الطارئة على المُجتمعات المُستقرة والمُتعايشة فيما بينها مُنذُ مئات السنين.

كما يُطالعنا نقدًا سياسيًّا للوضع السياسي في العراق ما بعد 2003, عند زيارة (فرانزولا) و(تيم) لمدينة أَغورا الأثريَّة وسط أَزمير, فيقول (تيم): (سأُريك مكانًا يحتوي على الصرفِ الصحي, المدينةُ

قديمة جدًا لكنها تدلُّ على وجود تطور حتى في القرون القديمة [فترد فرانزولا:] في العصرِ الحديث في العراقِ هناك الكثير من المناطقِ التي لا تحتوي على صرفٍ صحي)[كناوي,2024, 28], وهو نقد لظاهرة الفساد السلطوي وتردّي خدمات البلد وسرقة المال العام, وهي ظاهرةٌ موجودة في الواقع, لكن الخطأ ورد بالطرح بتعميم الظاهرة على بلدٍ بأكمله, فالبلد لا يخلو من مشاريع للصرف الصحي بالرغم من قلتها لكن يجب ان تُبعَّض المشكلة ولا تُعمم حتى يتشكل وعي القارئ على فسادِ بلد بكاملة وانهيار منظومته الصحيَّة بالكامل.

ويستمر (تيم) مُنتقدًا بقوله: (بعد سقوط نظام الحكم [في العراق] تم تسريح جميع الرتب العسكريَّة في الجيشِ ومنهم أَبي الذي كان برتبةِ ضابط, لكنه استطاع تدبر امرهُ وانخرط مع أَحد الأَحزاب لتحميهِ وتوفر لهُ العمل)[كناوي,2024, 60], وهو نقدٌ للمنظومةِ السياسيَّة الحاكمة التي تشكَّلت من أَزلام النظام المُعادي السابق مع تغيير مُسميات أَحزابها فقط في الاعم الأغلب, ولكن بالرغم من وجود هذه الظاهرة في واقع النظام السياسي إلا انَّها لن ترقى لتكون ظاهرة متفشيَّة إلى حدِّ التعميم على النظامِ السياسي ككل, بل ان هناك حالات خاصة نتجت عن طريقِ الوساطات وصلات الأَقارب والأَحزاب الفاسدة في الحكمِ بنظام العصابات, إذ يقول (تيم): (بعد سقوط النظام [2003 في العراقِ] تغلغل أَبي مع بعض الأَحزاب واصبح رجل عصابات, تلك الأَحزاب عبارة عن عصابات مُسلحة)[كناوي,2024, 87], ويسترسل (تيم) بحديثهِ مع (فرانزولا) حول حادثة اعتقاله مع صديقهِ (حازم) قائلًا: (توقفت سيارة سوداء مُظلله, نزل منها رجال مُسلحون ثم احاطوا بنا من كلِّ جانب, ثم كمموا افواهنا وشدوا عيوننا واخذونا لمكان بعيد, وحين وصلنا حرروا اعيننا وافواهنا)[كناوي,2024, 19], كل ما سردتهُ الشخصيَّة من أَحداث لواقع سياسي واقعةٌ بالفعل, لكنها لا ترتقى لمصاف الظاهرة التي يمكن لها ان تعمم, وهي وقتيَّة لا بد ان تقتص منها يد العدالة والشعب عبر الزمن.

ونقرأ في الروايةِ نقدًا لسلطةِ الاجتماعيَّة, وما يتركه النص من انطباع في ذهن القارئ من أَن هذا المجتمع غير محترم للوقت ومغيَّب العقل والفكر والتفكير, وهذا ما نجدهُ في حديثِ (تيم) مع (فرانزولا) حول برج الساعة بأزمير _كوناك_ في تركيا, إذ تقول (فرانزولا) لـ(تيم): (هل تصاب هذه الساعة بالعطلِ وتترك مهملة كساعةِ بغداد؟ [فيجيبها:] لا لم تتوقف عن العمل إلا في عام 1974 حين ضرب الزلزال مدينة ازمير فاحدث اضرارًا بالساعةِ, [فتجيبه:] لهذا الناس لدينا _في العراق_ لا يحترمون الوقت؛ لأَن ساعاتهم مُعطلة وعقولهم أَيضًا)[كناوي,2024, 31], وليس الحال كما يروي النص على العموم, وليس كما يقول (تيم): (إذا كان الشعبُ انانيًّا وكلّ يفكر بمصلحتهِ الشخصيَّة, والقانونُ ليس عادلًا والكثير من

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

القوى الخارجيَّة تتدخل فماذا سيحصل برأيك؟ [تجيبه:] سينتج اناسًا هاربين مُحطمين)[كناوي,2024, 29], نعم, فالنص يروي ظاهرة موجودة في المجتمع, لكنها لا تمثل ظاهرة عامة ككل, ولا توجب الهجرة والنفور والهروب من البلدِ والمجتمعِ لمجرد وجود مثل هذه الظواهر, وهي الظاهرةُ التي لا يكاد يخلو منها أي بلدٍ على الاطلاق.

ونجد نقدًا لسلطة المجتمع المُتسلط على حريةِ المرأة في حديث (فرانزولا) مع (امها) حين سالتها بترك زوجها, فردت الأم بقول: لا؛ (لأن المُجتمع لا يُسامح المرأة التي تخرج عن طاعةِ زوجها)[كناوي,2024, 47], فجواب الأم يشرح ذلك الاضطهاد للسلطة المجتمعيَّة الحاكمة والمتمثلة بعدم مخالفة مبدأ النشوز القرآني الذي يحملُ هو الآخر أوجه عدَّة قابلة للشرحِ والتفسير, التفسيرُ الذي يعدُّ وجهة نظر للمُفسِّر لا حقيقة تأويليَّة مُطلقة للنصّ الديني, فما نُعانيه من مُشكلات دينيَّة تتمثل في وجهاتِ نظر المُطبقين لمبادئ الدين, لا الدين نفسه. فضلًا عن أن وجود المرأة " في أماكن يمتلكها الرجال يُشكلُ عملًا هجوميًّا؛ لأن فيه زعزعة للنظامِ الاجتماعي, وهو فوق ذلك يؤدي إلى فقدان الرجل لكلّ شيء: لراحته, لأمانه, وطاعته لله ومكانته الاجتماعيَّة, ويزداد الأمر خطورة إذا كانت المرأة سافرة, فالرجل يخشى على نفسهِ الفتنة والمَعصية... ويخشى المُنافسة التي قد تحدث جراء اقتحامها عالمًا ليس لجنسِها, وإنَّما هو مُجيَّر باسم الرجل, لهذا يُهاجم وجود المرأة علانيَّة"[المهيدات,2008, 44], فالسلطة الاجتماعيَّة غالبًا ما تتستر بجرائمِها واضطهادِها للفردِ بغطاء الدين بوصفِه غطاء أعلى لا يختلف فيه اثنين, لكن الحقيقة هو فكرٌ, والفكرُ لا يقرعُ إلا بالفكرِ, فليس الحل هو الهروبُ والهجرة من أشكال التسلط المُجتمعي, بل المواجهة والصبر الحل الأرجح لمثل هذه المشكلات.

وما ورد في الروايةِ من نقدٍ للسلطةِ الدينيَّة فهو في الأعم الأغلب نقد لتسلط شخصيَّات دينيَّة من مدعين التدين, فالمشكلة ليست بالسلطةِ الدينيَّة كمؤسسة سماويَّة حاكمة ولا بالنظريَّة السماويَّة, بل بتنظير ممن يدعون التدين والمُطبقين خطأ لنظريَّة الدين, "إذ المرأة بمجرد الشك تُدان وبالشكِّ تُقتل"[الخياط,1992, 36], وهو ما يؤكدهُ (أخو فرانزلا/ مدعي التدين) بقولهِ من أنّ: (المرأة في أيِّ دينٍ عورة وأكبر مصدر للإغراء, وهي التي انزلت آدم من الجنَّةِ, وعليها ان تتحمل هذه الخطيئة وتبقى مُحتشمة)[كناوي,2024, 116], كذلك ما ورد على لسانِ المُعلمة (بلقيس) قائلة لـ(فرانزولا): (من لا يدخل الاسلام كافر وسيحرق بالنارِ....)[كناوي,2024, 7], وما فعله أخو (فرانزولا), من فعل دفعها إلى الهربِ خارج البلد, إذ أراد منها (تغيير دينها قائلة: "أراد أخي ان اغيّر ديني وان اتزوج الشيخ, كان اتبعه أو يعتبرهُ رئيسًا لهُ أو مُرشدهُ, لقد ضربني أمام أمي وأبي ولم يحرك أحد منهما ساكنًا, لم يدافع

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

عني أحد)[كناوي,2024, 98], كل ما وصفته الرواية من نقدٍ للسلطةِ الدينيَّة هو بحقيقةِ الأمر نقد لتسلط رجالات الدين أو ممن يدعون تطبيق الدين, والحقيقة هم يطبقون الدين بحسبِ مطامحهم الشخصيَّة, لذا يجب التدبر بنقدِ الظاهرة, فضلًا عن الانتباه للحلول التي تطرح لمُعالجتها حتى لا يتوهم الوعي ببناءِ فكرٍ جديد بحسبِ النقد الذي يطرح بصورة عامة للظاهرة الدينية أو ما يطرح من حلول موهومة للمُعالجة.

ومما تقدَّم نقول إن لما يطرح من مشاكلات وحلول خاطئة عبر وسائل الإعلام المكتوب والمقروء كالروايةِ وغيرها, فضلًا عن الإعلام السمعي والمرئي الأثر البالغ في إعادة تشكّل وتشكيل الوعي الحالي, وخرق الثوابت العرفيَّة والمجتمعيَّة والسلطويَّة والدينيَّة مما أصبحنا نراهُ ونسمعه من ظواهر غريبة ودخيلة على المجتمعِ تحدثُ بكثرة كظواهر الانتحار والقتل والهروب والهجرة وغيرها من الظواهر المستهجنة التي صار صفّق لها العقل الظاهر واستساغها واستحسنها نتيجة لما صار يقرأهُ ويسمعهُ ويراهُ من أفعالٍ مُماثلة عبر الإعلام المُغرض, لذا يجب الحذر ووضع الخطوط تحت كلِّ ما يُطرح؛ لإصلاح مسيرة المجتمع وتثقيف الفرد والجماعة.

نتائجُ الدراسة:

إن دراستَنا حول ما يُطرح في روايات ما بعد الحداثة عامة, وما طرحته رواية (خارج الحدود), دراسةٌ هادفة ترمي التنبه والانتباه لما يُسرد من طرحٍ نقدي لمشكلات وحلول مُشابهه لما يجري في الواقعِ المعيش؛ كون ذلك السرد يعيد تشكل الوعي المُستقبلي بفكرٍ جديد مماثل لما يطرح بنسبة كبيرة, فعلى القارئ الواعي التدبر بها يطرح من مشكلة في السردِ وحلَّها وقياس مدى صحتها وخطورة مخالفتها للمنظومة القيمية في الواقع.

وقد تضمن البحث بعض النتائج التي نُثرت في صفحاته, ونشير هنا لأهمها:

- إن ما يطرح في الروايةِ من مُشكلات وحلول يخيل لك انَّها واقعيَّة هي أولًا واخرًا خيال فكري ينبغي التعامل معه بحذر على أنهُ وهم لا حقيقة ولا يمكن تمثله على أرض الواقع.
- إنَّ مُخرجات اللاوعي المحظورة التي تظهر على سطح المتن الروائي ليست بالضرورةِ ان تكون سمات ايجابيَّة؛ إذ ليس كل نماءٍ بظاهرةٍ ما يكون إيجابيًّا ويسير متوازن من دون خلل أو خطر على الفكرِ, إذ ان كل فكر يطرح في النصِ ما هو إلا فكر جديد يراد تأسيسه لوعي جديد, وهو فكرٌ يُمثل انزياحًا فكريًّا للفكرِ السائد في الواقعِ.

- إنَّ الوعي الروائي هو وعي الكاتب, وهو الوعي ذاته الذي يُنقل إلى القارئ عن قناعةٍ ويُعيد تشكّل وعي القارئ بنسبةٍ ما في المُستقبلِ بعد تجذره كوعي مُشاع للعامةِ بعدما كان محظورًا واخرجه الستار الإبداعي, السؤال هنا للقارئ: ما مدى صحة وعي الروائي وما يطرحهُ حتى نثق به وبتأثيراته على اللاوعي الداخلي فينا, ففكرُ الروائي فكرٌ ذاتي وهو جزءٌ من كل بالنسبةِ للفكرِ السائد.
- إنَّ كلَّ ما يطرح في الروايةِ من نقدٍ لظاهرةٍ ما أَو حلول لها يجب ان ينظر إليه بنظرة موضوعيَّة من منظورِ نقد النقد الفاحص للظاهرةِ المُنتقدة وحلها المطروح كذلك, إذ ليس بالضرورةِ ان يكون ما قيل صحيحًا.
- نؤكد على أَنَّ ما يُطرح في الروايةِ من تمثل لمشكلةٍ ما وحلها ما هو إلا وعي ذاتي, لذا يتحتم على القارئ تسويرهُ والحذر منه؛ فليس كل ما يعرف يُقال ولا كل ما يُقال يمكن لهُ ان يُمثَّل على مسرحِ الحياة.

المصادر

[1] بروكر. بيتر, تر: د. عبد الوهاب علوب, 1995, الحداثة وما بعد الحداثة, ط1, منشورات المجمع الثقافي.
[2] سبيلا. محمد, 2007, الحداثة وما بعد الحداثة, ط2, دار توبقال, الدار البيضاء_ المغرب.
[3] ابراهيم. عبد الله, 2013, السردية العربية الحديثة_ لتفكيك الخطاب الاستعماري واعادة تفسير النشأة, المركز الثقافي العربي, مكتبة الفكر.
[4] باركر. كريس, تر: جمال بلقاسم, 2018, معجم الدراسات الثقافية, ط1, رؤية للنشر والتوزيع, القاهرة.
[5] فيشير. إرنست: تر: ميشال سليمان, ضرورة الفنّ, (د. ت), ط1, دار الحقيقة، بيروت.
[6] الصالح. نضال, 1999, المغامرة الثانية_ دراسات في الرواية العربية, منشورات اتحاد الكتاب العرب.
[7] هياس. خليل شكري, 2012, مدينة الله_ الرواية الرسالية وفضاء التشكيل السردي, مجلة الباحث, العدد الخاص بالمؤتمر الاول, الجزء الثاني,.
[8] البستاني. بشرى, 2017, الرواية العربية وتحولات ما بعد الحداثة, ط1, مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة, لندن.

[9] المتدين. سعيد, 1999, الحداثة وما بعد الحداثة _ تثبيت الاصول أَم كسر النماذج_ مجلة فكر ونقد, دار النشر المغربية_ الدار البيضاء, اكتوبر ع22.

[10] شانون وليامز, 2010, خصائص الرواية في ما بعد الحداثة, ضمن كتاب (جماليَّات ما وراء القص_ دراسات في رواية ما بعد الحداثة, مجموعة مؤلفين, تر: اماني ابو رحمة, دار نبنوى, دمشق_ سوريا.

[11] راي. روبرت, 1999, ما بعد الحداثة, ضمن كتاب (موسوعة الادب والنقد), مجموعة كتاب, تر: عبد الحميد شيحه, ط1, المجلس الاغلى للثقافة, ج1.

[12] البازعي. سعد والرويلي. ميجان, 2007, دليل الناقد الادبي, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء _ بيروت.

[13] أَبو رحمة. أَماني, 2010, جماليَّات ما وراء القص_ دراسات في رواية ما بعد الحداثة, دار نبنوى, دمشق_ سوريا.

[14] المسيري. عبد الوهاب والتريكي. فتحي,2003, الحداثة وما بعد الحداثة, دار الفكر, دمشق_ سوريا.

[15] سعد الله. محمد سالم, لذة السرد_ رؤية نقدية لرواية ما بعد الحداثة, (ضمن كتاب الرواية العربية وتحولات ما بعد الحداثة).

[16] العلام. عبد الرحيم, 1999, سؤال الحداثة في الرواية المغربية, أفريقيا الشرق, الدار البيضاء, المغرب.

[17] شيحه. عبد الحميد, 1999, موسوعة الادب والنقد, ط1, المجلس الاعلى للثقافة, ج1.

[18] أحمد محمد عبد الخالق, 2000, معجم ألفاظ الشخصية, ط1, مجلس النشر العلمي, جامعة الكويت, الكويت.

[19] محمود شمال حسن, 2010, مرجعيات الجماعة_ المرجعيات وأثرها في تقرير توجهات الأفراد, ط1, مؤسسة الانتشار العربي, بيروت_ لبنان.

[20] عبد المعطي سويد, 1992, التناقض الوجداني في الشخصية العربية المعاصرة, ط1, دار الحوار للنشر والتوزيع, صوريا_ اللاذقية.

[21] كناوي. نور الهدى, 2024, خارج الحدود, ط1, منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب, العراق.

[22] خديجة صبار, 1999, المرأة بين المثيولوجيا والحداثة, د. ط, افريقيا الشرق, بيروت_ لبنان.

[23] طنوس. جان نعوم, 2011, المرأة والحرية _دراسات في الرواية العربية النسائية, ط1, دار المنهل اللبناني, بيروت.

[24] المهيدات. نهال, 2008, الاخر في الرواية النسوية العربية_ في خطابات المراة والجسد والثقافة, ط1, عالم الكتب الحديث, اربد.

[25] الخياط. سلام, 1992, البغاء عبر العصور _أقدم مهنة في التاريخ, ط1, رياض الريس للكتب والنشر, لندن, قبرص.